## الفصل الثاني

# اتساع الدلالة لأسباب صرفية

إن البناء الصرفي لكثير من المفردات القرآنية أسهم في توسيع الكثير من دلالات الخطاب القرآني، ويمكننا أن نرصد ذلك في دلالة الوزن الصرفي للكلمة على عدد من الصيغ الصرفية، وكذلك في دلالته على صيغة صرفية ومعنى معجمي من جذر واحد، وأيضاً نلمس ذلك في تعدد معاني الصيغة الصرفية، وفي دلالة الصيغة الواحدة على معنيين مختلفين من جذر لغوي واحد، وفي دلالة صيغة الفعل على زمنين ماض ومضارع، أو لازم ومتعد في آن معاً، وفيما يلي تفصيل ذلك.

### أولاً - دلالة الوزن الصرفي على عدد من الصيغ الصرفية:

قد ترد الكلمة الواحدة في سياق ما تحتمل أوجهاً بحسب بنيانها وتقليب النظر في جوانبها، وربما تتساوى فيه قوة المعاني المحتملة وربما تتفاوت، وقد ناقش ابن جني هذه المسألة في خصائصه فيما أسماه (باب في اللفظ يرد محتملاً لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه أيجازان جميعاً فيه، أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟) بيّن فيه أن

obeikandl.com

كلا الوجهين يمكن أن يكون مراد القائل، وضرب لذلك أمثلة، ولا شك في أن البليغ تكثر معانيه وتقل ألفاظه.

يقول ابن جني: "اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهباً. ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مراداً وقولاً. من ذلك قوله:

**كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا**

فالقول أن يكون (ناهياً) اسم الفاعل من نهيت؛ كساع من سعيت، وسارٍ من سريت. وقد يجوز مع هذا أن يكون (ناهياً) هنا مصدراً كالفالج والباطل والعائر والباغز ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على (فاعِل)، حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهياً وردعاً. أي: ذا نهي، فحذف المضاف وعلّقت اللام بما يدل عليه الكلام... وكذلك قوله:

**من يفعل الخير لا يعدم جوازيه**

فظاهر هذا أن يكون (جوازيه) جمع جازٍ أي لا يعدم شاكراً عليه، ويجوز أن يكون جمع جزاء أي لا يعدم جزاء عليه"[(١)].

وقد سلك الخطاب القرآني هذا السبيل في توسيع الدلالة في العديد من الآيات الكريمة، نستجلي فيما يلي نماذج منها:

قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٢/ ٣٦].

المستقر في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ قد يكون بمعنى الاستقرار، كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ٧٥/ ١٢]، وقد يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه، كقوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٢٤]، وأكثر المفسرين حملوا الآية

(١) الخصائص: ٢/ ٤٨٨-٤٨٩.

على المعنيين المصدر واسم المكان، والمعنى: أنها مستقركم أو استقراركم حالتي الحياة والموت، يقول الألوسي: "والمستقر: اسم مكان أو مصدر ميمي، ويحتمل على بعد كونه اسم مفعول بمعنى ما استقر ملككم عليه وتصرفكم فيه، وأبعد منه احتمال كونه اسم زمان"[(١)].

فالآية محتملة للوجهين بل هما -والله أعلم- مرادان معاً ففي الأرض مستقركم واستقراركم حالتي الحياة والموت، وبدل أن يُعبِّر عن المعنيين بعبارتين، جمعهما بصيغة صرفية واحدة تحتملهما معاً، فكثر المعنى وقلَّ اللفظ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٦٤].

﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ بالضم: السفينة تذكر وتؤنث، وتقع على الواحد والجمع، قال الله في التوحيد والتذكير: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ١١٩]، فذكر ﴿ٱلْفُلْكِ﴾ وجاء به موحَّداً. وقال ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر: ٣٥/ ١٢]، فجمع وأنث.

أما قوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ فقد جاء مؤنثاً، ويحتمل أن يكون واحداً وجمعاً. يقول ابن الجوزي: "﴿وَٱلْفُلْكِ﴾: السفن. قال ابن قتيبة: الواحد والجمع بلفظ واحد"[(٢)]، فبدل أن يقول: (والسفينة أو السفن التي تجري في البحر) جعل الإفراد والجمع بلفظ واحد هو الفلك، مستفيداً من الخصائص الصرفية للفظ.

(١) روح المعاني: ١/ ٢٣٦.
(٢) زاد المسير: ١/ ١٦٨.

قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٣/ ٢٨].

قوله: ﴿تُقَىٰةً﴾ يحتمل أوجهاً في الدلالة مختلفة باختلاف تقليب النظر في البنية الصرفية للكلمة وتقدير الإعراب:

أولها: أن تكون مصدراً محذوف الزوائد، يقول الألوسي: "وهو اسم مصدر الاتّقاء، وأصله وُقَيَة فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة تبعاً لفعل (اتّقى) إذ قلبت واوه تاء ليتأتّى إدغامها في تاء الافتعال، ثم أتبعوا ذلك باسم مصدره كالتُّجاه والتكْلة والتؤَدَة والتخْمة"(١). ولها باعتبار المصدرية إعرابان بتقديرين مختلفين:

أحدهما: أن تكون ﴿تُقَىٰةً﴾ مصدراً واقعاً موقعَ المفعول به، وذلك على أن ﴿تَتَّقُوا۟﴾ بمعنى تخافوا، وهو ظاهر قول الزمخشريِّ، فإنه قال: "إلا أن تَخَافُوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه"(٢).

والآخر: أن ﴿تُقَىٰةً﴾ واقعة موقع الاتقاء، والأصل: أن تتقوا اتقاءً، نحو: تقتدر اقتداراً، وتعرب مفعولاً مطلقاً. يقول الألوسي: "والمراد بالتقاة ما يتقى منه، وتكون بمعنى اتقاء وهو الشائع. فعلى الأول: يكون مفعولاً به لتتقوا، وعلى الثاني: مفعولاً مطلقاً له"(٣).

والوجه الثاني: أن تكون﴿تُقَىٰةً﴾ جمع تاقٍ، نحو: رَامٍ ورُمَاة، وغَازٍ وغُزَاة، أو جمع تقي، وتعرب حالاً مؤكدةً؛ لأن معناه مفهوم من عاملها، كقوله: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٣٣]، جاء في البحر: "يجوز أن

---

(١) روح المعاني: ٣/ ١٢١.

(٢) الكشاف: ١/ ٣٨٠.

(٣) روح المعاني: ٣/ ١٢١.

يكون ﴿تُقَىٰةً﴾ مثل رماة حالاً من ﴿تَتَّقُواْ﴾، وهو جمع فاعل، وإن كان لم يستعمل منه فاعل، ويجوز أن يكون جمع تقي"[١].

وهكذا نرى أن النظم القرآني عبَّر ببنية صرفية واحدة عن صيغتين مختلفتين: المصدرية والجمع، ولكل صيغة احتمالان، فجمع أربعة احتمالات ممكنة بلفظ واحد.

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٤/ ٣١].

قوله تعالى: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ يحتمل أن يكون مصدراً ميمياً، أي: إدخالاً، والمفعول محذوف، أي: وندخلكم الجنة إدخالاً مع كرامة. ويحتمل أن يكون اسم مكان فيكون مفعولاً. يقول أبو حيان: "وانتصاب المضموم الميم إمّا على المصدر، أي: إدخالاً، والمدخل فيه محذوف أي: ويدخلكم الجنة إدخالاً كريماً. وإمّا على أنه مكان الدخول"[٢]. فجمعت الكلمة المعنيين، المصدرية واسم المكان، بصيغة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ يحتمل (الجمع) معنيين؛ أولهما: المصدر، ومفعوله محذوف بتقدير المال أو الناس، والمعنى: مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ الناس، أو جَمْعُكُمْ المال. والثاني: اسم المفعول، والمعنى: مَا أَغْنَى عَنكُمْ مجموعكم، أي: ما جمعتموه من المال والثّروة.

يقول ابن عاشور: "ومعنى ﴿جَمْعُكُمْ﴾ يحتمل أن يكون جَمْع النّاس،

(١) البحر المحيط: ٢/ ٤٤٢.
(٢) نفسه: ٣/ ٢٤٤.

أي: ما أغنت عنكم كثرتكم التي تعتزّون بها، ويحتمل أن يراد من (الجمع) المصدر بمعنى اسم المفعول، أي: ما جمعتموه من المال والثّروة"(١). فكلمة ﴿جَمْعُكُمْ﴾ أكسبت الآية الكريمة اتساعاً لدلالتي المصدر واسم المفعول.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ١٠/ ٥].

صيغة الضياء في الآية الكريمة تحتمل أمرين:

الأول: أن تكون مصدراً كقيام وصيام، والضِيَاء جُعِل نفسَ الكوكب مبالغة، كما يقال للكريم: إنه كرم وجود، أو على حذف مضافٍ، أي: ذات ضياء.

والثاني: أن تكون جمع ضوء كسياط وسوط، وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها.

قال أبو علي الفارسي: "الضياء لا يخلو من أحد أمرين؛ إما أن يكون جمع ضوء، كسوط وسياط وحوض وحياض، أو مصدر ضاء يضوء ضياء، كقولك: قام قياماً، وصام صياماً، وعلى أي الوجهين حملته فالمضاف محذوف"(٢). والآية متسعة للمعنيين بصيغة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ١١/ ٤١].

قوله تعالى: ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ في موضع الظرف المكاني أو الزماني. والتقدير: اركبوا فيها مُسَمِّين في موضع جريانها ورُسُوِّها، أو وقت جريانها ورسوِّها، والتقدير: اركبوا فيها مُتبرِّكين باسم الله في هذين

(١) التحرير والتنوير: ٨/ ١١٢.
(٢) التفسير الكبير: ١٧/ ٢٩.

obeikandl.com

المكانين، أو الوقتين. ويجُوزُ أيضاً أن يكون ﴿مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ مصدرين، أي: استقرَّ بسم الله إجراؤها وإرساؤها.

يقول البيضاوي: "﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ متصل بـ ﴿ٱرۡكَبُواْ﴾ حال من الواو، أي: اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت إجرائها وإرسائها، أو مكانهما، على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر"(١). ففي تقدير الآية اتساع لثلاثة احتمالات في وقت واحد، وبدل أن يقول باسم الله إجراؤها وإرساؤها، وباسم الله وقت إجرائها وإرسائها، وباسم الله مكان إجرائها وإرسائها، جمع الثلاثة بصيغة صرفية احتمالية (مفعل) تصلح للمصدر والزمان والمكان جميعاً.

قال تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ١١/ ٤٣].

﴿عَاصِمَ﴾ اسم فاعل، والمعنى: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله فإنه يعصمه، فيكون الاستثناء منقطعاً. ويحتمل أن يكون: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الراحم، والراحم هو الله، فيكون المعنى: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا الله.

ويحتمل أن يكون المراد بـ ﴿عَاصِمَ﴾ اسم المفعول فيكون ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى (معصوم)، فيكون المعنى: لا معصوم إلا من رحمه الله، أي لا معصوم إلا المرحوم"(٢).

يقول أبو حيان: "والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته، وأنه نفي كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت، وأنّ ﴿مَن رَّحِمَۚ﴾ يقع فيه ﴿مَن﴾ على المعصوم. والضمير الفاعل يعود على الله تعالى، وضمير الموصول

(١) أنوار التنزيل: ٣/ ٢٣٤.
(٢) الجملة العربية والمعنى: ٨٥.

محذوف، ويكون الاستثناء منقطعاً، أي: لكنْ من رحمه الله معصوم، وجوزوا أن يكون ﴿مَن﴾ الله تعالى أي لا عاصم إلا الراحم، وأن يكون ﴿عَاصِمَ﴾ بمعنى ذي عصمة، كما قالوا: (لابن)، أي: ذو لبن، وذو عصمة، مطلق على عاصم وعلى معصوم، والمراد به هنا المعصوم. أو فاعل بمعنى مفعول، فيكون عاصم بمعنى معصوم، كماء دافق بمعنى مدفوق. وقال الشاعر[١]:

**بطيء الكلام رخيم الكلام أمسى فؤادي به فاتنا**

أي مفتوناً. و(من) للمعصوم، أي: لا ذا عصمة، أو لا معصوم إلا المرحوم، وعلى هذين التجويزين يكون استثناء متصلاً"[٢].

وفي الآية تحليل آخر يستند إلى منطوق اللفظ ومفهومه، وأنَّ ذكر العاصم يستلزم معصوماً، يقول ابن القيم: "لما ذكر العاصم استدعى معصوماً مفهوماً من السياق، فكأنه قيل: لا معصوم اليوم من أمره إلا من رحمه، فإنه لما قال: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بقي الذهن طالباً للمعصوم، فكأنه قيل: فمن الذي يُعصم؟ فأجيب بأنه لا يُعصم إلا من رحمه الله.

ودل هذا اللفظ باختصاره وجلالته وفصاحته على نفي كل عاصم سواه، وعلى نفي كل معصوم سوى من رحمه الله؛ فدل الاستثناء على أمرين؛ على المعصوم من هو، وعلى العاصم وهو ذو الرحمة. وهذا من أبلغ الكلام وأفصحه وأوجزه. ولا يلتفت إلى ما قيل في الآية بعد ذلك"[٣].

---

(١) انظر البيت في معجم مقاييس اللغة: (فتن)، وفي التاج: (قطع) بلفظ:

**رخِيمُ الكلامِ قَطِيعِ القيامِ أضْحَى فؤادِي به فاتِنا**

(٢) البحر المحيط: ٥/ ٢٢٧.

(٣) بدائع الفوائد: ٣/ ٥٧٤ ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تح: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦م.

وخلاصة الأمر أن صيغة ﴿عَاصِمَ﴾ تتأرجح بين اسم الفاعل واسم المفعول في منطوق اللفظ ومفهومه، وكلاهما صحيح ومراد في الوقت ذاته، فبدل أن يقول: لا عاصم إلا الراحم ولا معصوم إلا المرحوم، جمعهما بصيغة واحدة تحتملهما معاً، فقال: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾.

قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [هود: ١١/ ٦٥].

قوله تعالى: ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه احتمالان:

أولهما: اسم المفعول، أي: غير مكذوب فيه، أو غير مكذوب كأن الوعد إذا أنجز فقد صدق وإلا كذب.

والثاني: أن يكون مصدراً، كالمجلود والمعقول، أي: وعد غير كذب.

يقول الشوكاني: "﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، أي: غير مكذوب فيه، فحذف الجار اتساعاً، أو من باب المجاز كأن الوعد إذا وفى به صدق ولم يكذب، ويجوز أن يكون مصدراً أي وعد غير كذب"(١).

والصيغة محتملة للوجهين معاً، المصدرية واسم المفعول.

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٢١].

التبع في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع مثل خادم وخدم وحارس وحرس وراصد ورصد، وجائز أن يكون مصدراً سمي به مبالغة في الوصف. ويحتمل أن يكون على تقدير مضاف محذوف، أي: كنا ذوي تبع.

(١) فتح القدير: ٢/ ٥٠٨.

يقول البيضاوي: "﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم، وهو جمع تابع كغائب وغيب، أو مصدر نعت به للمبالغة، أو على إضمار مضاف"[(١)]. ويقول الشوكاني: "﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع لتابع كخدم وخادم. أو مصدر واقع موقع اسم الفاعل، أي: تابعين، أو على حذف مضاف، أي: ذوي تبع"[(٢)].

فبدل أن يقول: إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تابعين، أو ذوي تبع، جمعهما بصيغة صرفية محتملة للمعنيين معاً، إضافة إلى مبالغة الوصف بالمصدر.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٥٩].

قوله تعالى: ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيه احتمالات:

الأول: أنه صيغة اسم الفاعل حال من الناقة، وفي اشتقاقه ثلاثة احتمالات:

فإما أن يكون من الإبصار، أي: ذات إبصار، يبصرها الناس. وإما أن يكون من البصيرة، أي: ذات بصيرة، يتبصَّر بها الناس، والصيغة للنسب. أو جاعلة الناس ذوي بصائر، على أنه اسم فاعل من أبصره، والهمزة للتعدية، أي: جعله ذا بصيرة وإدراك.

والثاني: يحتمل أن يكون إسناد الإبصار إليها مجازاً، وهو في الحقيقة حال من يشاهدها.

جاء في فتح القدير: "﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾، أي: ذات إبصار يدركها الناس بأبصارهم كقوله: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء:

(١) أنوار التنزيل: ٣/ ٣٤٤.
(٢) فتح القدير: ٤/ ٤٩٥.

١٢/١٧]، أو أسند إليها حال من يشاهدها مجازاً. أو أنها جعلتهم ذوي إبصار من أبصره جعله بصيراً"[١].

فقد جمعت الآية أربعة احتمالات ممكنة بكلمة واحدة مستثمرة بناءها الصرفي وما يحتمله من دلالات.

قال تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٢٠/٥٨-٥٩].

قوله تعالى: ﴿مَوْعِدًا﴾ يحتمل ثلاثة احتمالات في آن معاً:

أولها: أن تكون مصدراً ميمياً، أي: فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وعداً لا نُخْلِفُهُ. ويؤيد هذا الاحتمال قوله تعالى: ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾؛ لأن الوعد هو الذي يصح وصفه بالخلف وعدمه.

والثاني: أن يكون الموعد اسم زمان، كقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [هود: ١١/٨١]، أي: فعيِّن لنا وقتاً نجتمع فيه؛ ولذلك أجابهم بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

والثالث: أنه اسم مكان، أي: فحدِّد لاجتماعنا مكاناً معلوماً نعرفه نحن وأنت فنأتيه. ويدعمه قوله ﴿مَكَانًا سُوًى﴾.

يقول ابن هشام: "وقد يحتمل الموضع أكثر من وجه، ويوجد ما يرجح كلّاً منها، فينظر في أولاها كقوله تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ فإن الموعد محتمل للمصدر، ويشهد له ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ﴾، وللزمان ويشهد له ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾. وللمكان ويشهد له ﴿مَكَانًا سُوًى﴾"[٢].

(١) نفسه: ٣/٢٣٨.
(٢) مغني اللبيب: ٧٧٦-٧٧٧.

والحق أن انتقاء هذه الصيغة في هذا الموضع من الإعجاز بمكان، إذ المعاني الثلاثة -والله أعلم- مرادة معاً في هذه الآية فبدل أن يأتي بثلاث كلمات مختلفة، جمعها بصيغة واحدة تحتمل المصدر والزمان والمكان في آن واحد.

قال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: ٢٠/ ٨٦].

قوله: ﴿وَعْدًا حَسَنًاۚ﴾ يجوز أن يكون مصدراً مؤكداً، والمفعول محذوف تقديره: وعدكم بالكتاب والهداية، أو يترك المفعول الثاني ليعم. ويجوز أن يكون الوعد بمعنى الموعود فيكون هو المفعول الثاني.

جاء في روح المعاني: "ونصب ﴿وَعْدًا﴾ يحتمل على أن يكون على أنه مفعول ثان وهو بمعنى الموعود، ويحتمل أن يكون على المصدرية والمفعول الثاني محذوف"(١). وكلا المعنيين محتمل، والآية الكريمة جمعتهما بلفظ واحد يحتملهما معاً.

قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِۚ﴾ [الحج: ٢٢/ ٦٧].

تحتمل صيغة ﴿مَنسَكًا﴾ ثلاثة معان، فقد تكون بمعنى النسك، أي: العبادة. وقد تدل على زمان النسك، وكذلك مكانه.

يقول الرازي: "في المنسك أقوال؛ أحدها: قال ابن عباس: عيداً يذبحون فيه. وثانيها: قرباناً. ولفظ المنسك مختص بالذبائح عن مجاهد. وثالثها: مألفاً يألفونه إما مكاناً معيناً أو زماناً معيناً لأداء الطاعات.

(١) روح المعاني: ١٦/ ٢٤٥.

ورابعها: المنسك هو الشريعة والمنهاج، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار القفال وهو الأقرب لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨/٥]، ولأن المنسك مأخوذ من النسك وهو العبادة، وإذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه للتخصيص"(١).

ويقول الألوسي: "وقيل: هو مصدر بمعنى النسك، أي: العبادة، قال ابن عطية: يعني ذلك ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ وقيل: هو اسم زمان، وقيل: اسم مكان، وكان الظاهر (ناسكون فيه) إلا أنه اتسع في ذلك"(٢).

والخلاصة أن الكلمة تحتمل ثلاثة المعاني: النسك وزمانه ومكانه في بنية احتمالية جامعة إيجازاً واتساعاً.

قال تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤/٢٥].

صيغتا (مستقر ومقيل) يحتمل كل منهما أن تكون مصدراً ميميّاً أو اسم زمان أو اسم مكان، وفي اجتماعهما ترقى احتمالات المعنى في الآية الكريمة إلى تسعة.

يقول الألوسي: "﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ المستقر: المكان الذي يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث .﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ المقيل: المكان الذي يؤوى إليه للاسترواح إلى الأزواج والتمتع بمغازلتهن، سمي بذلك لأن التمتع به يكون وقت القيلولة غالباً...

وتفسير المستقر والمقيل بالمكانين حسبما سمعت هو المشهور، وهو أحد احتمالات تسعة: وذلك أنهم جوزوا أن يكون كلاهما اسم مكان أو اسم زمان أو مصدراً وأن يكون الأول اسم مكان والثاني اسم زمان

(١) التفسير الكبير: ٢٣/ ٥٧.
(٢) روح المعاني: ١٧/ ١٩٥.

أو مصدراً، وأن يكون الأول اسم زمان والثاني اسم مكان أو مصدراً، وأن يكون الأول مصدراً والثاني اسم مكان أو اسم زمان. وما شئت تخيل في خيرية زمان أصحاب الجنة وأحسنيته، وكذا في خيرية استقرارهم وأحسنية استراحتهم يومئذ"(١).

وبهذه الاحتمالات نرى مدى الاتساع في دلالات الآية الكريمة، وما ذاك إلا لحسن استخدام الصيغة الصرفية بفنية عالية في هذا الموضع، ولو قال مثلاً: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ استقراراً وَأَحْسَنُ قيلولة، لما كان في الآية إلا هذا المعنى.

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٢٧/ ٣٩].

وقوله: ﴿ءَاتِيكَ﴾ يحتمل أن يكون فعلاً مضارعاً مسنداً للمتكلم، ويحتمل كذلك أن يكون اسم فاعل، وبهما قال المفسرون والنحاة.

يقول ابن عاشور: "وقوله: ﴿ءَاتِيكَ﴾ يجوز أن يكون فعلاً مضارعاً من أتى، وأن يكون اسم فاعل منه، والباء على الاحتمالين للتعدية"(٢).

ويقول ابن هشام في حديثه عن الجمل الصغرى والكبرى: "وقد يحتمل الكلام الكبرى وغيرها. ولهذا النوع أمثلة؛ أحدها: نحو ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ إذ يحتمل ﴿ءَاتِيكَ﴾ أن يكون فعلاً مضارعاً ومفعولاً، وأن يكون اسم فاعل ومضافاً إليه، مثل ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ﴾ [هود: ١١/ ٧٦]، ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ١٩/ ٩٥]، ويؤيده أن أصل الخبر الإفراد"(٣). فقد جمعت الآية معنيين ممكنين بصيغة صرفية واحدة.

---

(١) نفسه: ١٩/ ٨-٩.

(٢) التحرير والتنوير: ١٩/ ٢٦٤.

(٣) مغني اللبيب: ٤٩٨.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ [النمل: ٢٧/ ٤٩].

قوله: ﴿مَهْلِكَ﴾ صيغة مشترك بين ثلاثة معان: المصدرية، أي: ما شهدنا إهلاك أهله. والزمان والمكان، أي: ما حضرنا وقت إهلاك أهله، أو مكانه.

يقول ابن عاشور: "وقرأ الجمهور: (مُهْلَك) بضم الميم وفتح اللام وهو مصدر الإهلاك أو مكانُه أو زمانه. وقرأه حفص بفتح الميم وكسر اللام ويحتمل المصدر والمكان والزمان"(١).

والذي نرجحه اجتماع هذه الدلالات معاً في الآية؛ لأن حدوث الإهلاك لا بدَّ له من زمان ومكان، والقصد - والله أعلم - نفي التهمة عنهم بقولهم: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: ما حضرنَا هلاكَهم، وكنا على سفر وقت هلاكهم، ولم نكن في مكانَ هلاكِهم فكيف نُتهم؟

فبكلمة واحدة عبَّر عن ثلاثة المعاني مجتمعة، مستثمراً الصيغة الصرفية أمثل استثمار، ولو قال غيرها لما أفاد غير معنى واحد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ١٧].

قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يعني لا يقدرون أن يرزقوكم، فـ ﴿رِزْقًا﴾ مصدر، وتحتمل الآية وجهاً آخر، وهو أن ما تعبدونه من دون الله لا يملكون مالاً يرزقونكم به، فتكون ﴿رِزْقًا﴾ دالة على المفعول أي المرزوق به.

(١) التحرير والتنوير: ١٩/ ٢٧٥.

يقول البيضاوي: "﴿رِزْقًا﴾ يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون أن يرزقوكم، وأن يراد المرزوق وتنكيره للتعميم"(١).

فبكلمة واحدة عبَّرت الآية الكريمة عن معنيين محتملين وصحيحين في وقت واحد، إذ ما يُعبَد من دون الله لا يملك أن يرزق أحداً شيئاً، ولا يملك عند التحقيق مالاً أو متاعاً يرزق به غيره، يشهد لهذا المعنى قول النبي ﷺ: "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ"(٢). فقد كسبت الآية الكريمة المعنيين جميعاً بلفظ واحد يصلح لهما معاً.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٣١/ ٢].

وُصف القرآن الكريم بـ ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في هذه الآية، وفي ثلاث آيات أخر، هي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٣/ ٥٨]، وقوله: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١٠/ ١]، وقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ٣٦/ ٢].

و﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في هذه الآيات جاءت وصفاً للذكر والكتاب والقرآن، والكلمة على صيغة (فعيل)، وفي دلالتها احتمالات عدة:

أولها: فعيل بمعنى فاعل، أي: الكتاب الحاكم، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٣].

ثانيها: فعيل بمعنى مُفعَل، أي: الكتاب المُحكَم، ودليله قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١١/ ١].

(١) أنوار التنزيل: ٤/ ٣١١.
(٢) صحيح مسلم: حديث رقم (٢٩٥٨)، ٤/ ٢٢٧٣، مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

openkand.com

والثالث: فعيل بمعنى مفعول، أي: الكتاب المحكوم فيه، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٤٥]، أي: بما في كتاب الله من الأحكام.

أما الرابع فالحكيم الناطق بالحكمة، أي: الكتاب ذو الحكمة، ودليله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٣٩]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٣٤].

وثمة احتمالان آخران ذكرهما بعض المفسرين على تقدير الإسناد المجازي أو بتقدير حذف، فيكون الحكيم وصفاً لله تعالى، أي: الحكيم قائله أو منزله.

يقول أبو حيان: "ووصف الكتاب بالحكيم، إما لتضمنه للحكمة، قيل: أو (فعيل) بمعنى المحكم، وهذا يقل أن يكون (فعيل) بمعنى (مفعَل)، ومنه عقدت العسل فهو عقيد، أي معقد، ويجوز أن يكون (حكيم) بمعنى (حاكم). وقال الزمخشري: الحكيم: ذو الحكمة؛ أو وصف لصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي، ويجوز أن يكون الأصل: الحكيم قائله، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة"[(١)].

ويقول القرطبي: "والحكيم: المحكم بالحلال والحرام والحدود والأحكام. قاله أبو عبيدة وغيره.

وقيل: الحكيم بمعنى الحاكم، أي: إنه حاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس بالحق، فعيل بمعنى فاعل، دليله قوله: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٣].

---

(١) البحر المحيط: ٧/ ١٧٨-١٧٩.

وقيل: الحكيم بمعنى المحكوم فيه، أي: حكم الله فيه بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وحكم فيه بالنهي عن الفحشاء والمنكر، وبالجنة لمن أطاعه وبالنار لمن عصاه، فهو فعيل بمعنى المفعول. قاله الحسن وغيره.

وقال مقاتل: الحكيم بمعنى المحكم من الباطل لا كذب فيه ولا اختلاف، فعيل بمعنى مفعل، كقول الأعشى يذكر قصيدته التي قالها:

**وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها**"(١)

فتأمل كيف اتسعت هذه المفردة لمعان كثيرة بصيغتها (فعيل)، وجعلت المفسرين يختلفون في تأويلها، ويذهبون فيها مذاهب شتى، ولعل الأَولى أن يُقال: إن تلك المعاني كلها مرادة ومقصودة معاً في آن واحد، فالقرآن الكريم حاكم ومُحكَم وناطق بالحكمة ومحكوم فيه بالعدل وحكيم قائله، عبَّر النظم القرآني عن كل تلك المعاني بقوله ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ١٣].

قول المنافقين في الآية الكريمة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ يدل من حيث الصيغة على المصدرية، بمعنى لا إقامة لكم فارجعوا. ويحتمل أن يدل على اسم المكان، أي: لا مكان لكم تقيمون فيه، فارجعوا.

يقول أبو حيان: "﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المنافقين ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ في حومة القتال والممانعة ﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى بيوتكم ومنازلكم، أمروهم بالهرب عن رسول الله ﷺ... وقرأ السلمي والأعرج واليماني

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٠٥.

وحفص: بضم الميم، فاحتمل أن يكون مكاناً، أي: لا مكان إقامة. واحتمل أن يكون مصدراً، أي: لا إقامة"[١].

ففي (المقام) دلالة على المصدر الميمي ودلالة اسم المكان، ولو كان التعبير بالمصدر (الإقامة) لما أدت الآية غير معنى واحد، ولكن الآية عبرت عما يجول في أذهان المنافقين وعلى ألسنتهم من نفي الإقامة ومكانها معاً بلفظ واحد، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [غافر: ٤٠/ ٣].

و﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ في الآية يحتمل أن يكون مصدراً كالأوب بمعنى الرجوع، ويحتمل أن يكون اسم جمع لتوبة كتمر وتمرة.

يقول القرطبي: "و﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ يجوز أن يكون مصدر تاب يتوب توباً. ويحتمل أن يكون جمع توبة، نحو: دومة ودوم، وعزمة وعزم، ومنه قوله:

فيخبو ساعة ويهب ساعا

ويجوز أن يكون التوب بمعنى التوبة. قال أبو العباس: والذي يسبق إلى قلبي أن يكون مصدراً، أي: يقبل هذا الفعل، كما تقول: قال قولاً، وإذا كان جمعاً فمعناه يقبل التوبات"[٢].

وقد دلَّت الآية بهذه الصيغة ﴿ٱلتَّوۡبِ﴾ على معاني الجمع والإفراد والمصدرية بلفظ واحد، ولو عبَّر بـ قابل التوبة أو التوبات لما أفاد إلا معنى واحداً، وحقيقة الأمر أن الآية عبَّرت عن تلك المعاني مجتمعة، وهو المراد، والله أعلم، فالله تعالى يقبل هذا الفعل من عباده، ويقبل التوبة سواء أكانت مرة واحدة أو مرات كثيرة.

(١) البحر المحيط: ٧/ ٢١٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ٢٩١.

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ٤٠/١٩].

وقوله: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنها مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة، أي: يعلم خيانة الأعين، أي استراق النظر إلى ما لا يحلُّ، كما يفعل أهل الريب.

والثاني: أنها اسم فاعل على بابها، وهو من إضافة الصفة للموصوف، والأصل: الأعينُ الخائنة.

يقول الثعالبي: "والخائنةُ: مصدرٌ كالخِيَانَةِ، ويحتمل أن تكونَ ﴿خَآئِنَةَ﴾ اسمَ فاعِل، أي: يعلم الأعين إذا خانتْ في نظَرِها، قال أبو حَيَّان: والظاهرُ أن ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ من إضافةِ الصفةِ إلى الموصوفِ، أي: الأَعْيُن الخائنة، كقوله[1]: [البسيط]

وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا

أي: الناسَ الكرامَ، وجوَّزُوا أن يكونَ ﴿خَآئِنَةَ﴾ مصدراً، كالعافية، أي: يعلم خِيانَةَ الأعينِ"[2].

والآية تفيد المعنيين؛ فالله يعلم خيانة الأعين، ويعلم الأعين الخائنة، ولو عبَّر بأحدهما لما أفادت الآية غير معنى واحد.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/٢٦].

كلمة ﴿بَرَآءٌ﴾ في الآية فيها احتمالان:

---

(١) البيت منسوب لبشامة بن حزنٍ النهشلي في خزانة الأدب: ٨/٣٠٢.

(٢) الجواهر الحسان: ٤/٧٠.

أولهما: أنها مصدر على المبالغة فيكون من الإخبار بالمصدر عن الذات كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود: ١١/ ٤٦]، جاء في فتح القدير: "البراء مصدر نعت به للمبالغة، وهو يستعمل للواحد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث. قال الجوهري: وتبرأت من كذا، وأنا منه براء وخلاء، لا يثنى ولا يجمع؛ لأنه مصدر في الأصل"(١).

والثاني: أن تكون صفة مشبهة على وزن فعال كجواد وصناع، قال الزجاج: "البَراء بمعنى البَريء"(٢). فالكلمة جمعت احتمالين ممكنين بلفظ واحد.

قال تعالى: ﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ [القلم: ٦٨/ ٥-٦].

كلمة ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ تحتمل وجهين:

الأول: أن الصيغة على بابها من اسم المفعول والباء زائدة للتأكيد، أي: أيكم المفتون بالجنون، ومثله قول الشاعر(٣):

**نحن بنو جعدة أصحاب العلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج**

والثاني: ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ مصدر جاء على مفعول كالمعقول والميسور، والباء ليست زائدة، والتقدير: بأيكم الفتون أو الفتنة، ومنه قول الشاعر الراعي(٤):

**حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا**

أي: عقلاً.

---

(١) فتح القدير: ٤/ ٥٥٣.

(٢) زاد المسير: ٧/ ٣٠٩.

(٣) ديوان النابغة الجعدي: ٤٨، جمع وتحقيق: د. واضح الصمد. دار صادر، بيروت.ط١، ١٩٩٨م.

(٤) ديوان الراعي النميري: ٢١٠، شرح د. واضح الصمد. دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

جاء في لسان العرب: "والمَفْتُونُ: الفِتْنة صيغ المصدر على لفظ المفعول كالمَعْقُول والمَجْلُودِ. وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦٨/ ٥-٦]. قال أَبو إِسحاق: معنى المَفْتُونِ الذي فُتِنَ بالجنون. قال أَبو عبيدة: معنى الباء الطرح، كأَنه قال: أَيُّكم المَفْتُونُ؟

قال أَبو إِسحاق: ولا يجوز أَن تكون الباء لَغْواً ولا ذلك جائز في العربِية. وفيه قولان للنحويين:

أَحدهما: أَن المفْتُونَ ههنا بمعنى الفُتُونِ مصدر على المفعول، كما قالوا: ما له مَعْقُولٌ ولا مَعْقُودُ رَأْيٍ، وليس لفلان مَجْلُودٌ، أَي: ليس له جَلَدٌ. ومثله المَيْسُورُ والمَعْسُورُ، كأَنه قال: بأَيِّكم الفُتون، وهو الجُنون.

والقول الثاني: فسَتُبْصِر ويُبْصِرُونَ في أَيِّ الفَريقينِ المَجْنونُ، أَي: في فرقة الإِسلام أَو في فرقة الكفر. أَقامَ (الباء) مقام (في)"[1].

والخلاصة أن في الكلمة معنيين محتملين، ولكل منهما ما يؤيده في لغة العرب عند اللغويين والمفسرين، جمعتهما الكلمة بصيغة صرفية واحدة، لو استبدل بها غيرها لما أدى هذين المعنيين.

قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦٩/ ٢١].

و﴿رَّاضِيَةٍ﴾ على ثلاثة أوجه؛ أحدها: هي بمعنى مرضية، مثل: دافق بمعنى مدفوق. والثاني: على النسب، أي: ذات رضا، مثل: لابن وتامر. والثالث: هي على بابها مجازاً، وكأن العيشة رضيت بمحلها وحصلوها في مستحقها، أو أنها لا حال أكمل من حالها، أو لِملابسة العيشة حالةَ صاحبها وهو الراضي لا هي.

(١) لسان العرب: (فتن).

يقول الألوسي: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ قال أبو عبيدة والفراء: أي مرضية.

وقال غير واحد: أي ذات رضى، على أنه من باب النسبة بالصيغة كلابن وتامر، ومعنى ذات رضى ملتبسة بالرضا، فيكون بمعنى مرضية أيضاً...

والمشهور حمل ما ذكر على أنه مجاز في الإسناد والأصل في عيشة راض صاحبها فأسند الرضا إليها لجعلها لخلوصها دائماً عن الشوائب، كأنها نفسها راضية"(١).

ويقول ابن عاشور: "ووصْفُ ﴿عِيشَةٍ﴾ بـ ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ مجاز عقلي لِملابسة العيشة حالةَ صاحبها، وهو العائش، ملابسة الصفةِ لموصوفها. والراضي هو صاحب العيشة لا العِيشة؛ لأن ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ اسم فاعل رضيَت إذا حصل لها الرضى، وهو الفرح والغبطة. والعيشة ليست راضية ولكنها لحسنها رَضي صاحبها، فوصفُها بـ ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ من إسناد الوصف إلى غير ما هو له، وهو من المبالغة؛ لأنه يدل على شدة الرضى بسببها حتى سرى إليها"(٢).

فقد اتسعت دلالة الكلمة لتشمل ثلاثة معان محتملة، ولها نظائرها في لغة العرب، وما ذاك إلا لاستخدام صيغة اسم الفاعل في سياق هذه الآية.

قال تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: ٧٤/ ٣٤-٣٦].

كلمة ﴿نَذِيرًا﴾ على وزن (فعيل) وهي صيغة مشتركة بين معنيين في هذه الآية هما: المصدر، مثل نكير وإنكار، أي: إنذاراً للبشر. واسم الفاعل، أي: منذِراً للبشر.

(١) روح المعاني: ٢٩/ ٤٨.
(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/ ١٢٣.

يقول أبو حيان: "وقرأ الجمهور: ﴿نَذِيرًا﴾ واحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الإنذار، كالنكير بمعنى الإنكار، فيكون تمييزاً، أي: لإحدى الكبر إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النساء عفافاً. كما ضمن إحدى معنى أعظم، جاء عنه التمييز. وقال الفراء: هو مصدر نصب بإضمار فعل، أي أنذر إنذاراً. واحتمل أن يكون اسم فاعل بمعنى منذر"(١).

وكلا المعنيين صحيح ومراد من الصيغة (فعيل)، ولو أراد تخصيص اسم الفاعل أو المصدر لاستخدم له صيغة غير احتمالية، ولكنه الاتساع في نظم آي القرآن.

قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ٩٠/ ١-٢].

آثر النظم القرآني التعبير في هذه الآية بـ ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾ على ما سواه؛ لما تنطوي عليه هذه الكلمة بلفظها وصيغتها من احتمالات دلالية توسع نطاق المعنى توسيعاً فريداً يضفي معاني لا نجدها في غير هذا التعبير؛ فقوله ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾ يحتمل أربعة معان مختلفة، وكلها مرادة، ولها أدلتها لدى المفسرين:

أولها: أنها تأتي بمعنى الحالّ والمقيم. والمقصود تعظيم المقسم به، وهو أنه لما حلّ الرسول ﷺ بمكة جمعت شرفين: شرفها الذي شرفها الله به وشرف الرسول ﷺ، فازدادت تعظيماً على تعظيم وشرفاً على شرف واستحقت بذلك القسم.

يقول الألوسي: "وقيل: (الحلُّ) صفة أو مصدر بمعنى الحالّ. يقال: حلَّ أي نزل يحلُّ حلّاً وحلولاً. ويقال أيضاً: هو حِلَّ بموضع كذا كما يقال حالّ به"(٢).

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ٣٧٠.

(٢) روح المعاني: ٣٠/ ١٣٤.

ويقول أبو حيان: "﴿وَأَنتَ حِلٌّ﴾ جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به، أي: فأنت مقيم به، وهذا هو الظاهر...، أقسم بها لما جمعت من الشرفين، شرفها بإضافتها إلى الله تعالى، وشرفها بحضور رسول الله ﷺ وإقامته فيها، فصارت أهلاً لأن يقسم بها"(١).

والمعنى الثاني من معاني (الحِلّ): أنها بمعنى التبرئة مما يقترفه المشركون في مكة، أي: وأنت بهذا البلد متحرج بريء مما يفعلون، كما تقول: أنا في حلٍّ من هذا.

يقول الألوسي: "المعنى وأنت حلٌّ بهذا البلد مما يقترفه أهله من المآثم، متحرج بريء منها"(٢).

والمعنى الثالث: أنها تأتي بمعنى اسم المفعول، أي: مُستَحَلّ، فعلى هذا يكون المعنى: وأنت مُستَحلّ قتلك، لا تراعى حرمتك في هذا البلد الحرام الذي يأمن فيه الناس على دمائهم وأموالهم، والذي يأمن فيه الطير والوحش.

يقول الألوسي: "(الحِلّ) بمعنى المستحَلّ بزنة المفعول الذي لا يحترم، فكأنه قيل: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمته يُستحلُّ بهذا البلد الحرام، ولا يُحترم كما يُستحلُّ الصيد في غير الحرم"(٣).

وجاء في (الكشاف): "عن شرحبيل: يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك. وفيه تثبيت من رسول الله ﷺ، وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته"(٤).

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ٤٦٩-٤٧٠.
(٢) روح المعاني: ٣٠/ ١٣٤.
(٣) نفسه: ٣٠/ ١٣٣.
(٤) الكشاف: ٤/ ٧٥٧.

والمعنى الرابع من معاني (الحِلّ): أنها تأتي بمعنى الحلال ضد الحرام، أي: وأنت حلال بهذا البلد يحِلُّ لك فيه قتل من شئت، وكان هذا يوم فتح مكة.

يقول الألوسي: "وجوَّز أن يكون (الحِلُّ) بمعنى الحلال ضد الحرام، قال ابن عباس فيما أخرجه عنه ابن جرير وغيره: وأنت يا محمد يحلُّ لك أن تقاتل به، وأما غيرك فلا"(١).

ويقول الزمخشري: "سلَّى رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالقسم ببلده، على أنّ الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد، واعترض بأن وعده فتح مكة تتميماً للتسلية والتنفيس عنه فقال ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾، يعني: وأنت حلّ به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر. وذلك أنّ الله فتح عليه مكة وأحلّها له، وما فتحت على أحد قبله ولا أحلّت له، فأحلّ ما شاء وحرّم ما شاء، قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة وغيرهما، وحرّم دار أبي سفيان، ثم قال: إنّ الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحلَّ لأحد قبلي ولن تحلَّ لأحد بعدي، ولم تحلَّ لي إلّا ساعة من نهار... فإن قلت: أين نظير قوله ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾ في معنى الاستقبال؟ قلت: قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٣٠]، ومثله واسع في كلام العباد، تقول لمن تعده الإكرام والحباء: أنت مكرم محبو، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة. وكفاك دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحالِّ محال أن السورة بالاتفاق مكية، وأين الهجرة عن وقت نزولها، فما بال الفتح؟"(٢).

(١) روح المعاني: ٣٠/ ١٣٣.
(٢) الكشاف: ٤/ ٧٥٨.

وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فهو ﷺ حالّ بهذا البلد الكريم يبلغ رسالة ربه، متحرج من آثامهم بريء من أفعال الجاهلية، وقد استُحلَّت حرمته وأُريد قتله في حين حلوله به وتبليغ دعوة ربه، وأنه حَلّ لهذا الرسول ﷺ أن يقتل ويأسر في هذا البلد يوم الفتح ما لا يحلّ لغيره، فبكلمة واحدة جمعت الآية احتمالات أربعة ما كان لها أن تجتمع لو قال (حالٌّ)، أو (مُستحَلٌّ)، أو (حلال)، أو غيرها مما يقصر الكلام على معنى واحد لا غير.

قال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٩٥/ ١-٣].

وصف الله مكة المكرمة بـ ﴿ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾، و ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ من حيث الدلالة تحتمل معنيين:

أولهما: أن تكون من الأمن، ومكة هي البلد الآمن في الجاهلية والإسلام، لا ينفر صيده ولا يعضد شجره، دعا له سيدنا إبراهيم عليه السلام بالأمن مرتين؛ الأولى: قبل أن يكون بلداً ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٦]، والثانية: بعد أن صار بلداً ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٣٥].

وقد استجاب الله دعاء أبي الأنبياء، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٥]، وقوله أيضاً ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٣/ ٩٧]، وقوله ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٢٨/ ٥٧]، وقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٦٧].

وصيغة (فعيل) -بعد الذي بيَناه من معنى (الأمن) في الكلمة- تحتمل ثلاثة معان:

الأول: أن تكون (فعيل) للمبالغة بمعنى (فاعل)، أي: الآمن. يقول ابن الجوزي: "قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٩٥/ ٣] يعني: مكة، يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام. قال الفراء: ومعنى ﴿ٱلْأَمِينِ﴾: الآمن. والعرب تقول للأمين (آمن). قال الشاعر[1]:

**أَلَمْ تَعْلَمي يا أَسْمَ وَيْحَكِ أَنَّني حَلَفْتُ يَمِيناً لا أَخُونُ أَمِينِي**

يريد آمني"[2].

والثاني قريب من الأول: وهو أن تكون (فعيل) بمعنى (مُفعِل)، يقول ابن عاشور: "سمي الأمين لأن من دخله كان آمناً؛ فالأمين (فعيل) بمعنى (مُفعِل)، مثل (الداعي السمِيع) في بيت عمرو بن معد يكرب"[3]، يقصد قوله[4]:

**أَمِنْ ريحانَة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع**

والثالث: أن تكون ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ فعيلاً بمعنى مفعول، مثل جريح بمعنى مجروح، وأسير بمعنى مأسور، أي: المأمون، ونسبة الأمن إليه من قبيل تسمية المحلِّ باسم الحالِّ فيه مجازاً، والمعنى: المأمون أهله والداخل فيه، قال تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١٠٦/ ٤]، أو لأنه مأمون الغوائل.

جاء في روح المعاني: "الأمين فعيل... بمعنى مفعول أي: المأمون من (أمنه) أي: لم يَخَفْه، ونسبته إلى البلد مجازية، والمأمون حقيقة

(١) البيت مذكور في تهذيب اللغة ولسان العرب: (أمن).
(٢) زاد المسير: ٩/ ١٧٠-١٧١.
(٣) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣٧٢.
(٤) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٦.

obeikandl.com

الناسُ، أي: لا تخاف غوائلهم فيه، أو الكلام على الحذف والإيصال أي: المأمون فيه من الغوائل"[١].

والاحتمال الثاني في دلالة ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ أن يكون من الأمانة، يقول الألوسي: "الأمين (فعيل) بمعنى (فاعل)، أي: الآمن، من أمُن الرجل بضمّ الميم أمانةً فهو أمين... وسمع على معنى النسب، كما في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٢٨/ ٥٧]، بمعنى ذي أمن. وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ففيه تشبيه بالرجل الأمين"[٢].

ومن لطائف تعليل اختيار الوصف بـ ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ في هذه الآية قول د. فاضل السامرائي: "وُصف بالأمين لأنه مكان أداء الأمانة، وهي الرسالة. والأمانة ينبغي أن تؤدى في مكان أمين. فالرسالة أمانة نزل بها الروح الأمين، وهو جبريل، وأداها إلى الصادق الأمين، وهو محمد، في البلد الأمين، وهو مكة. فانظر كيف اختير الوصف هاهنا أحسن اختيار وأنسبه.

فالأمانة حملها رسول موصوف بالأمانة فأداها إلى شخص موصوف بالأمانة في بلد موصوف بالأمانة"[٣].

فباختيار لفظ ﴿ٱلْأَمِينِ﴾ جمعت الآية الكريمة معنيي الأمن والأمانة، وجمعت معنيي اسم الفاعل واسم المفعول، وجمعت الحقيقة والمجاز، فهو أمين وآمن ومأمون، وهذه المعاني كلها مُرادة مطلوبة، وهي صفة اختيرت هنا اختياراً مقصوداً لا يسدُّ مسدّها وصف آخر.

---

(١) روح المعاني: ٣٠/ ١٧٣.

(٢) نفسه: ٣٠/ ١٧٣.

(٣) التعبير القرآني: ٣٤٠، السامرائي، د. فاضل صالح. دار عمار، عمَّان، ط٢، ٢٠٠٢م.

## ثانياً - دلالة الوزن الصرفي على صيغة صرفية ومعنى معجمي وكلاهما من جذر واحد:

من الوسائل التي اعتمدها الخطاب القرآني في توسيع دلالاته استثمار المفردة القرآنية من جهتين، جهة الميزان الصرفي، وجهة المعنى المعجمي، وذلك بأن ترِد الكلمة دالَّة على معنيين؛ أحدهما يُرَدُّ لعوامل صرفية، والآخر لدلالة لفظية، وكلاهما مشتق من جذر لغوي واحد، وكلاهما يمكن أن يكون مراداً، ولا شك أن هذا مما يكثِّر معاني الخطاب القرآني ويقلِّل ألفاظه. وفيما يلي نستطلع نماذج منه:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٧].

الميثاق في الآية الكريمة كلمة تحتمل معنيين:

أحدهما يعتمد على الدلالة المعجمية، وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم، أو ما وثق الله به عهده من آياته وكتبه وإنذار رسله.

والثاني يعتمد على الصيغة الصرفية للكلمة، أي: الميثاق بمعنى المصدر (التوثيق)، كما أن الميعاد بمعنى الوعد، والميلاد بمعنى الولادة. والمعنى: من بعد توثيق العهد، أو توثيق الله.

يقول البيضاوي: " ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ الضمير للعهد. والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة، وهي الاستحكام. والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب، أو ما وثقوه به من الالتزام والقبول. ويحتمل أن يكون بمعنى المصدر "(١).

ويقول أبو حيان: "أي من توثيقه عليهم، أو من بعد ما وثق به عهده على اختلاف التأويلين في الميثاق. قال أبو البقاء: إن أعدت الهاء على

---

(١) أنوار التنزيل: ١/ ٢٦٦.

اسم الله كان المصدر مضافاً إلى الفاعل، وإن أعدتها إلى العهد كان مضافاً إلى المفعول، وهذا يدل على أن الميثاق عنده مصدر"[١].

والخلاصة أن لفظ (الميثاق) يدل على معنيين، التوثيق نفسه ووسائله من آيات الله وكتبه وإنذار رسله، وكلاهما مراد في سياق الآية، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٠].

قوله تعالى: ﴿وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ يحتمل معنيين:

أولهما: دلالة معجمية بأن يكون الوقودُ هو الحطبَ نفسَه، والمعنى: وَأُولَئِكَ هُمْ حطبُ النَّارِ. كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٨].

والآخر: مردود لصيغة (الفَعول) بوصفه مصدراً كالقَبُول والوَضُوء والطَّهُور، والمعنى إما على المُبَالغة، بأن جُعِلُوا نفس التوقد مبالغة في وضعهم بالعذاب، أي: أصحاب توقدها. وإمَّا على حذف مضاف، أي: يوقدها إحراق الناس، ثم حذف المُضَاف، وأقيم المضاف إليه مُقَامه.

جاء في فتح القدير: "(الوقود) في الآية اسم للحطب، أي: هم حطب جهنم الذي تسعَّر به. ولكنها قد تكون مصدراً على وزن (فعول)، وكذلك الوقود بفتح الواو في قراءة الجمهور يحتمل أن يكون اسماً للحطب، كما تقدم، فلا يحتاج إلى تقدير، ويحتمل أن يكون مصدراً؛ لأنه من المصادر التي تأتي على وزن (الفعول)، فتحتاج إلى تقدير، أي: هم أهل وقود النار"[٢].

(١) البحر المحيط: ١/ ٢٧٣.
(٢) فتح القدير: ١/ ٣٢٠-٣٢١.

فالآية جمعت بلفظها ووزنها معنيين؛ المصدر (الإيقاد) ومادته (الحطب)، وكلاهما مراد، ولو عبَّر بأحد هذين اللفظين مثلاً لما أفاد غير معنى واحد.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٥٤].

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يحتمل ثلاث دلالات: واحدة مستفادة من الصيغة، واثنتان من الدلالة المعجمية للفظ نفسه:

أما الأولى فهي دلالة صيغة (أفعل) على التعدية، من (هَمَّ) بالشيءَ يهمُّ هَمّاً، نواه وأَراده وعزَم عليه، و﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ جعلتهم يهمُّون بشيء، يقول ابن عاشور: "قيل: معنى ﴿أَهَمَّتْهُمْ﴾ أدخلت عليهم الهَمّ بالكفر والارتداد، وكان رأسُ هذه الطائفة معتّب بن قشير"(١).

وأما الدلالتان المستفادتان من المعنى المعجمي فأولاهما: أن يكون ﴿أَهَمَّتْهُمْ﴾ من الهم والحزَن، أي: حَدّثتهم أنفسهم بما يدخل عليهم الهَمّ، فجعلتهم ذوي همّ وأوقعتهم فيه، فجفاهم النوم.

والثانية أن يكون بمعنى شدة الاعتناء والذهول عما سواه، من أهمَّه بمعنى جعله مهماً له ومقصوداً. والمعنى: ما يهمهم إلا أنفسهم وطلب خلاصها، لا النبيّ ﷺ ولا غيره، فذهب النوم عنهم.

يقول الرازي: "هؤلاء هم المنافقون عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير وأصحابهما، كان همُّهم خلاص أنفسهم. يقال: همني الشيء، أي: كان من همي وقصدي، قال أبو مسلم: من عادة العرب أن يقولوا لمن خاف: قد أهمته نفسه، فهؤلاء المنافقون لشدة خوفهم من القتل طار النوم عنهم.

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٥٧.

وقيل: المؤمنون كان همهم النبي ﷺ وإخوانهم من المؤمنين، والمنافقون كان همهم أنفسهم. وتحقيق القول فيه: أن الإنسان إذا اشتدّ اشتغاله بالشيء واستغراقه فيه صار غافلاً عما سواه، فلما كان أحب الأشياء إلى الإنسان نفسه، فعند الخوف على النفس يصير ذاهلاً عن كل ما سواها"[1].

فثمة ثلاثة معان مستفادة من الصيغة الصرفية والدلالة المعجمية، عبَّرت عنها الآية الكريمة بكلمة واحدة. وثلاثة المعاني لا يبعد أن تكون مرادة في الوقت ذاته، إذ المنافقون حدّثتهم أنفسهم بالارتداد فهمُّوا به، وأوقعتهم أنفسهم بالهمِّ والحزن، وكان لا يهمُّهم إلا خلاص أنفسهم دون ما سواها، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٤].

في قوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ كلمتان كل منهما تحتمل معنيين بِرَدِّهما إلى البنية الصرفية والدلالة المعجمية:

فـ ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ تدلُّ على المصدر من خلق يخلق خَلْقاً، أي: فله الإيجاد والاختراع، وهذه الصفة خاصة بالله سبحانه. وتحتمل أن تكون بمعنى المفعول، أي: المخلوقات، وهي كلها مِلك لله تعالى.

و ﴿وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ كذلك يحتمل أن يكون مَصْدَراً من أمر يأمر أمراً، ضد النهي. ويحتمل أن يكون بمعنى الشأن، واحد الأمورِ. و(أل) التعريف لاستغراق الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٥٤].

(١) التفسير الكبير: ٩/ ٣٨.

يقول ابن عطية: "أخذ المفسرون ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ بمعنى المخلوقات. أي هي له كلها وملكه واختراعه، وأخذوا ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ مصدراً من أمر يأمر... ويحتمل أن تؤخذ لفظة ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ على المصدر من خلق يخلق خلقاً، أي: له هذه الصفة؛ إذ هو المُوجِدُ للأشياء بعد العَدَمِ، ويؤخذ ﴿ٱلْأَمْرُ﴾ على أنه واحد من الأمور، إلا أنه يدل على الجنس، فيكون بمنزلة قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١١/ ١٢٣]، وبمنزلة قوله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٠]... وكيف ما تأولت الآية فالجميع لله"[١].

والجمع بين الخلق والأمر وسّع دلالة الآية أيَّما اتساع، فبدل أن يأتي بأربع عبارات مختلفة الألفاظ لتعبِّر عن أربعة معان، هي: له الإيجاد والأوامر، وله الإيجاد والأمور، وله المخلوقات والأوامر، وله المخلوقات والأمور، أتى بمفردتين انتظمتا تلك المعاني باستثمار الصيغة الصرفية والدلالة المعجمية فكسبها جميعاً من أقرب سبيل وبأوجز عبارة.

قال تعالى: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الرعد: ١٣/ ٣٣].

في استخدام المصدر الصريح ﴿مَكْرُهُمْ﴾ فائدة بديعة؛ إذ تضيف إلى معنى المكر معنى احتمالياً آخر، فقد يكون المزيَّنُ لهم هو المكر ذاته، وقد يكون المزيَّنُ ما في المكر من دهاء وإحكام حيلة، ولو قال (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ أن يمكروا) لكان المعنى أنه زين لهم أن يفعلوا مكراً، لا أنّ مكرهم له صفة معينة هي التي تزيّنه لهم[٢]، فالتعبير بالمصدر المؤوَّل (أن والفعل) دلالته متعيِّنة على الحدث مجرَّداً عن الوصف، والتعبير بالمصدر الصريح يدل على الحدث، ويحتمل الدلالة على صفة من صفاته.

---

(١) المحرر الوجيز: ٢/ ٤٠٩.

(٢) معاني النحو: ٣/ ١٢٨.

يقول ابن القيم: "دخول (أن) على الفعل... يدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه، ففيها تحصين من الإشكال وتخليص له من شوائب الإجمال، بيانه أنك إذا قلت: (كرهت خروجك) و(أعجبني قدومك) احتمل الكلام معاني: منها أن يكون نفس القدوم هو المعجب لك دون صفة من صفاته، وهيآته، وإن كان لا يوصف في الحقيقة بصفات ولكنها عبارة عن الكيفيات، واحتمل أيضاً أنك تريد أنه أعجبك سرعته أو بطؤه أو حالة من حالاته، فإذا قلت: (أعجبني أن قدمت) كان [دخول] (أن) على الفعل بمنزلة الطبائع والصواب من عوارض الإجمالات المتصورة في الأذهان"(١).

ففي قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ معنيان: أولهما قطعي وهو الدلالة على المكر نفسه، والثاني احتمالي قد يُراد به صفة من صفات المكر كالدهاء مثلاً، فجمعت الآية بإيثار المصدر الصريح معنيين بكلمة واحدة، ولو عبَّرت بالمصدر المؤول لأفادت معنى واحداً بكلمتين اثنتين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٦/ ١٢٠].

قوله تعالى: ﴿أُمَّةً﴾ يحتمل معنيين:

أولهما: أن (الأمة) تطلق على الرَّجل الجامع لخصالٍ محمودة، ولكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد إلا مفرقة في أشخاص كثيرة، يؤيد ذلك قول أبي نواس(٢):

**ولَيْسَ عَلَى الله بِمُسْتَنْكَرٍ أنْ يَجْمعَ العَالَمَ في واحِدِ**

(١) بدائع الفوائد: ١/ ٩٩-١٠٠.
(٢) دِيوان أبي نواس: ٢١٨.

والثاني: أن (الأمة) (فُعْلَة) تدلُّ على المبالغة، (فُعْلَة) بمعنى المفعول، كالدُّخلة والنُّخبة، فالأمة: هو الذي يؤتم به؛ فإن الناس كانوا يؤمونه للاستفادة منه والاقتداء بسيرته.

جاء في فتح القدير: "يقال للرجل العالم (أمة). والأمة: الرجل الجامع للخير. قال الواحدي: قال أكثر أهل التفسير: أي معلماً للخير. وعلى هذا فمعنى كون إبراهيم كان أمة أنه كان معلماً للخير، أو جامعاً لخصال الخير، أو عالماً بما علمه الله من الشرائع.

وقيل: (أمة) بمعنى (مأموم)، أي: يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير كما قال سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ٢/ ١٢٤]"[(١)].

ففي الكلمة معنيان محتملان أحدهما معجمي، والآخر عائد لدلالة الصيغة الصرفية، وكلاهما مراد، فسيدنا إبراهيم عليه السلام كان جامعاً لخصال الخير، وكان الناس يؤمُّونه للاقتداء بسيرته، والآية جمعت المعنيين بكلمة واحدة.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٨/ ١٠٢].

قوله ﴿نُزُلًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه - في المستوى الصرفي- اسم مكان يُراد به موضع النُّزولِ. والثاني: أنَّه - في المستوى المعجمي- اسمُ لما يعدُّ من القِرى للضُّيوف النازلين، وإطلاق اسم (النُّزُل) على العذاب استعارة على سبيل التهكُّم بهم، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٣/ ٢١].

جاء في تفسير الثعالبي: "و(النُّزُل) موضع النزول. و(النُّزُل) أيضاً ما يقدَّم للضيف أو القادم من الطعام عند نزوله. ويحتمل أن يريد بالآية هذا

---

(١) فتح القدير: ٣/ ٢٠٢.

المعنى، أن المعدَّ لهؤلاء بدل (النُّزُل) جهنم، والآية تحتمل الوجهين"[١].

والقول ما قاله الثعالبي من أن الآية تحتمل الوجهين: الدلالة المعجمية لجهنم بمعنى العذاب، والدلالة الصرفية للكلمة بوصفها اسم مكان، والمعنيان مستفادان بلفظ واحد.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ٦١/ ١٠-١١].

قوله تعالى: و ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ﴾ هنا يحتمل معنيين:

الأول منهما معجمي، وهو دلالة الخير على ضد الشرّ، وتكون الخيرية في المشار إليه مطلقة، أي: الجهاد والإيمان جمع في ذاته خيري الدنيا والآخرة.

والثاني مستفاد من الدلالة الصرفية للكلمة، إذ يحتمل أن يكون ﴿خَيۡرٞ﴾ اسم تفضيل، أصله: أخير ووزنه (أَفعل)، والمعنى: الجهاد والإيمان خير منْ أموالِكُم وأنفسِكُم ومن كل عمل.

يقول ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أشار إلى الجهاد والإيمان، و ﴿خَيۡرٞ﴾ هنا يحتمل أن يكون للتفضيل، فالمعنى من كل عمل، ويحتمل أن يكون إخباراً أن هذا خير في ذاته ونفسه"[٢].

فالآية جمعت معنيين بكلمة واحدة أحدهما معجمي، والآخر عائد لدلالة الصيغة الصرفية، وكلاهما مراد، وهما عام وخاص، إذ الخيرية المطلقة في الدلالة المعجمية تشمل معنى التفضيل وغيره.

(١) الجواهر الحسان: ٢/ ٣٩٧.
(٢) المحرر الوجيز: ٥/ ٣٠٤.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٦٧/ ٣٠].

في وصف الماء بأنه ﴿مَّعِينٍ﴾ وجهان:

أولهما مشتق من (الإمعان)، أي: الماء الجاري الممعن في الجري. والثاني تدل عليه الصيغة والاشتقاق، فـ ﴿مَّعِينٍ﴾ (فعيل) بمعنى (مفعول) من (العين)، أي: الماء الظاهر الذي تراه الأعين، وتناله الدلاء. فأصله معيون، ثم جرى عليه ما جرى على (مبيع).

يقول الرازي: "والمعين الظاهر الذي تراه العيون، فهو من مفعول العين كمبيع، وقيل: المعين الجاري من العيون، من الإمعان في الجري، كأنه قيل: ممعن في الجري"(١).

ويقول الشوكاني: "أي: ظاهر تراه العيون، وقيل: هو من معن الماء، أي: كثر. وقال قتادة والضحاك: أي: جار"(٢).

فالكلمة تتسع لمعان عدة كالجريان والظهور والكثرة، إضافة إلى صيغتها التي تشير إلى اسم المفعول، وكل ذلك صحيح ومراد، وله ما يؤيده في المعاجم وعند المفسرين.

## ثالثاً - تعدد معاني الصيغة الصرفية:

إن الصيغة الصرفية وما تحمله من معان مختلفة كانت من الوسائل التي اعتمدها الخطاب القرآني في توسيع الدلالة لكثير من المفردات القرآنية؛ وذلك بأن ترِد الكلمة دالَّة على معنيين أو أكثر، يُرَدُّ كل واحد

---

(١) التفسير الكبير: ٣٠/ ٦٧.

(٢) فتح القدير: ٥/ ٢٦٦.

إلى معنى من المعاني التي تحتملها الصيغة الصرفية. وفيما يلي نستعرض نماذج منها:

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ١٠/ ٥].

صيغة (فِعال) في قوله تعالى ﴿ضِيَآءً﴾ تحتمل المصدرية وتحتمل الجمع، كسياط وحياض جمع سوط وحوض.

يقول الرازي: " الضياء لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض، أو مصدر ضاء يضوء ضياء، كقولك: قام قياماً وصام صياماً، وعلى أي الوجهين حملته فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذا نور، ويجوز أن يكون من غير ذلك؛ لأنه لما عظم الضوء والنور فيهما جعلا نفس الضياء والنور، كما يقال للرجل الكريم إنه كرم وجود"(١).

قال تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ١٦-١٧].

صيغة (يتفعَّل) في قوله تعالى ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ فيها أربعة احتمالات:

أحدها: أنه مطاوع (جَرَّعْته)، نحو: علَّمتهُ فتعلَّمَ.

الثاني: أنه يكون للتكلّف، نحو: تحَلَّم، أي: يتَكلَّف جرعهُ.

الثالث: أنه دالٌّ على المهلة، نحو تفهَّمتهُ، أي: يتناوله شيئاً فشيئاً بالجرع كما يفهم شيئاً فشيئاً بالتفهيم.

الرابع: أنه بمعنى جرع المجرد، نحو: عَدذْتُ الشيء وتعَدَّيتُه. والمعنى: يتحسَّاه ويشربه لا بمرة واحدة، بل يجرعهُ لِمرارَتهِ وحَرارَتهِ.

(١) التفسير الكبير: ١٧/ ٢٩.

جاء في البحر المحيط: "وتجرَّع تفعَّل، ويحتمل هنا وجوهاً: أن يكون للمطاوعة، أي: جرَّعه فتجرَّع، كقولك: علمته فتعلم. وأنْ يكون للتكلُّف، نحو: تحلم، وأن يكون لمواصلة العمل في مهلة، نحو: تفهَّم، أي: يأخذه شيئاً فشيئاً. وأن يكون موافقاً للمجرد، أي: يجرعه، كما تقول: عدا الشيء وتعدّاه"[1].

والتجرُّع في الآية يدُّل على أن الكافر في جهنم يجرع ذاك الماء الصديد بتكلّف لا يخلو من تمهّل، والكلمة تجمع بصيغتها المعنيين معاً، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٥٩].

ومعنى ﴿مُبْصِرَةً﴾ واضحة الدلالة، وصيغة اسم الفاعل هنا تفيد أحد أمرين:

أولهما: على النسب، أي: ذات إبصار، يبصرها المتأمل ويتبصّر بها، وتفيدهُ أنها آية.

والثاني: على أنها اسم فاعل من (أبصر)، والهمزة للتعدية، أي: جعل غيرَه مُبصراً وذا بصيرة.

جاء في روح المعاني: " ﴿مُبْصِرَةً﴾ على صيغة اسم الفاعل حال من الناقة، والمراد: ذات إبصار أو ذات بصيرة يبصرها الغير ويتبصّر بها، فالصيغة للنسب، أو جاعلة الناس ذوي بصائر على أنه اسم فاعل من أبصره، والهمزة للتعدية، أي: جعله ذا بصيرة وإدراك. ويحتمل أن يكون إسناد الإبصار إليها مجازاً وهو في الحقيقة حال من يشاهدها"[2].

---

(١) البحر المحيط: ٥/ ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) روح المعاني: ١٥/ ١٠٤.

وكلا المعنيين محتمل، والجمع بينهما غير بعيد، فهي ذات إبصار، يتبصّر بها المتأمّل، فتجعله ذا بصيرة، والمعنيان مستفادان بكلمة واحدة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ١].

صيغة ﴿أَعْلَمُ﴾ تحتمل دلالتين: الأولى: يجوز أن تكون أفعل تفضيل، أي: أنا أعلم من كل أحد بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ. والثانية: يحتمل أن تكون فعلاً مضارعاً عُدِّي بالباء، كما تقول: علمت بكذا، وعلمت كذا فتكون زائدة.

يقول ابن عطية: "قوله تعالى ﴿أَعْلَمُ﴾ يحتمل أن يكون (أفعل)، ويحتمل أن يكون فعلاً؛ لأنك تقول علمت بكذا فتدخل الباء"(١). والصيغة مترددة بين المعنيين.

قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١١٤/ ٤].

جاء في لسان العرب: "الوَسْوَسَة والوَسْواس الصوت الخفي من ريح... والوَسْواسُ (بالفتح) الاسم، مثل: الزِّلْزال والزَّلْزال، والوِسْواس بالكسر المصدر، والوَسْواس بالفتح هو الشيطان"(٢).

ويقول ابن هشام: "يجوز فتحُ أول المضاعف، والأكثر أن يُعْنَى بالمفتوح اسمُ الفَاعِلِ، نحو ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الُموَسْوِسِ"(٣).

(١) المحرر الوجيز: ٥/ ٢٩٤.
(٢) لسان العرب: (وسس).
(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/ ٢٣٩، ابن هشام الأنصاري، جمال =

يستفاد مما جاء في اللسان ومما ذكره ابن هشام أن صيغة ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ تحتمل أن تكون اسم فاعل، أي: الْمُوَسْوِسِ، وأن تكون مصدراً بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة، والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه؛ لكثرة اشتغاله بها، والمراد ذو الوسواس.

والمتأمل في الصيغة والمعنى يجد في تسمية الشيطان بهذا الاسم شيئين:

أولهما: ما ذكره الألوسي من معنى المبالغة في صيغة (فعلل) يقول: "لها مصدران مطردان فعللة وفِعلال بالكسر وهو أقيس. والفتح شاذ لكنه كثر في المكرر كتمتام وفأفاء ويكون للمبالغة"(١)، وما ذكره الرازي من المبالغة في تسمية الشيطان بالمصدر، قال: "سمي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه، نظيره قوله ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ١١/٤٦]"(٢).

والثاني: معنى تكرار الفعل وقد ذكره الرازي كذلك بقوله: " يقال: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره"(٣)، وتكرار الوسوسة من شأن الشيطان لا ينفك عنه.

وبهذا نرى دقة اختيار الكلمة في الآية الكريمة، واتساعها لمعنيين، فـ (الوسواس) تحمل في طيات صيغتها دلالتي المبالغة والتكرار معاً، ولو عبَّر باسم الفاعل (الموسوس) لأفاد التكرار فقط، ولم يفد معنى المبالغة المستفاد من جانبين، من صيغة المصدر نفسها، ومن تسمية الشيطان بالمصدر للمبالغة أيضاً.

---

= الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف (٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٧٩م.

(١) روح المعاني: ٣٠/ ٢٨٦.

(٢) التفسير الكبير: ٣٢/ ١٨١.

(٣) نفسه: ١٤/ ٣٨.

obeikandl.com

## رابعاً - دلالة الصيغة الصرفية على معنيين من جذر واحد:

المفردة اللغوية إذا ما سبكت في صيغة صرفية معينة قد تدلُّ على معنيين مختلفين، رغم اشتقاقهما من الجذر اللغوي نفسه، وقد اعتمد الخطاب القرآني هذا الأسلوب في توسيع الدلالة لبعض المفردات القرآنية؛ وذلك بأن ترِد الكلمة في قالب صرفي دالَّة على معنيين مختلفين ولكنهما من جذر واحد. وفيما يلي نستعرض نماذج منها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/ ١٠٤].

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ في الآية الكريمة يحتمل أوجهاً:

أحدها: أن يُراد به النظر إلى الشيء، فحذف الجار، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٥٥]، أي: من قومه. وكذلك ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أي: انظُرْ إلينا.

وثانيها: أن يُراد به التأمُّل والتدبُّر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٨]، والمعنى: تأمَّل حالنا وترفَّق بنا.

وثالثها: أن يكون النظر بمعنى الانتظار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٥٣]، أي: غير منتظرين إدراكه وبلوغه، وعلى هذا الوجه يكون ﴿ٱنظُرْنَا﴾ معناه انتظرنا ولا تعجل علينا.

يقول البيضاوي: " ﴿ٱنظُرْنَا﴾ بمعنى انظر إلينا. أو انتظرنا، من نظره إذا انتظره. وقرئ أنظرنا من الإنظار، أي: أمهلنا لنحفظ "[1].

وغير بعيد أن تكون هذه المعاني جميعُها مرادةً في الآية، فبدل أن يقول: انظر إلينا وترفق بحالنا ولا تعجل علينا، جمعها بقوله ﴿ٱنظُرْنَا﴾

(١) أنوار التنزيل: ١/ ٣٧٥.

فكسبها بأوجز عبارة ومن أخصر سبيل، وقد أشار الثعالبي إلى شيء من هذا القبيل بقوله: "﴿ٱنظُرْنَا﴾ معناه: انتظرنا وأمهل علَيْنا، ويحتمل أن يكون المعنى: تفقَّدنا من النَّظَر، والظاهرُ عنْدي استدعاءُ نظر العَيْن المقترِنِ بتدبُّر الحال"(١)، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٣].

قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ يحتمل أن يكون أصله -بعد فكِّ التضعيف- (لا تضارَر)، وهو مبني للمجهول. ويحتمل كذلك أن يكون (لا تضارِر)، وفاعله (وَالِدَةٌ)، والمفعول محذوف.

يقول الرازي: " قوله ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ يحتمل وجهين كلاهما جائز في اللغة، وإنما احتمل الوجهين نظراً لحال الإدغام الواقع في ﴿تُضَآرَّ﴾ أحدهما: أن يكون أصله لا تضارِر بكسر الراء الأولى، وعلى هذا الوجه تكون المرأة هي الفاعلة للضرار. والثاني: أن يكون أصله لا تضارَر بفتح الراء الأولى، فتكون المرأة هي المفعولة بها الضرار"(٢).

وفي الآية نهي عن إيقاع الضرار بين الوالدة والمولود له(٣)، إذ فيها نهي للرجل أن يضارَّها بولدها، ونهي للمرأة أيضاً أن تضارَّه بولده.

والمضارة من جهة الرجل تكون بأن لا تُعطى أجراً كما تُعطى الأجنبية، وبأن ينزع الصبي منها ويمنعها من إرضاعه، وبأن تكره على إرضاعه؛ لأن ذلك ليس بواجب عليها.

والمضارّة من جهتها تكون بأن تأبى إرضاع ولدها؛ ليشق على أبيه، وبأن تلقي الصبي إلى أبيه بعدما ألفها تضارّه بذلك، وبأن تشتطّ عليه

(١) الجواهر الحسان: ١/ ٩٤.
(٢) التفسير الكبير: ٦/ ١٠٣-١٠٤.
(٣) انظر: معالم التنزيل: ١/ ٢٧٨.

وتطلب فوق حقها، وبأن تمنعه من رؤية ولده والإلمام به، أو تريد ألا يطيعه.

والخلاصة أن الآية الكريمة جمعت حكمين شرعيين بأوجز عبارة، باستثمار التضعيف في الكلمة أحسن استثمار، ولو عبَّر بالكلمة ذاتها من دون تضعيف لاحتاج لعبارتين بدل الواحدة، كأن يقول: لَا تُضَارَر وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لهُ بِوَلَدِهِ، ولَا تُضَارِر وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لهُ بِوَلَدِهِ، وفي ذلك من التطويل والتكرير ما يتنافى مع الفصاحة والبلاغة ولا يخفى على ذي لب.

أضف إلى ذلك ما أشرنا إليه من أنواع الضرار المختلفة التي شملها جميعاً بلفظ ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ إجمالاً واختصاراً.

قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٨٢].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ﴾، فإن الفعل ﴿يُضَآرَّ﴾ يحتمل أن يكون مبنياً للمعلوم، فيكون الكاتب والشهيد قد نهيا أن يضارّا أحداً، ويحتمل أن يكون مبنياً للمجهول فيكون النهي عن إلحاق الضرر بهما، ويقول أبو حيان تأويل أوجه الضرر: "بأن يزيد الكاتب في الكتابة، أو يحرف. وبأن يكتم الشاهد الشهادة، أو يغيرها أو يمتنع من أدائها... وقال ابن عباس، ومجاهد، وعطاء: بأن يقولا: علينا شغل ولنا حاجة. واحتمل أن يكون مبنياً للمفعول، فنهى أن يضارّهما أحد بأن يُعنتا، ويشقَّ عليهما في ترك أشغالهما، ويطلب منهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة. قال معناه أيضاً ابن عباس، ومجاهد، وطاووس، والضحاك، والسدي"[(١)].

(١) البحر المحيط: ٢/ ٣٧٠.

والمعنيان مرادان جميعاً، والله أعلم، ولو أراد أحد المعنيين لعيَّنه بفكِّ التضعيف كما فكَّه في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٨/ ١٣]، ولكنه آثر التعبير بالتضعيف ليشمل المعنيين جميعاً، فيقع النهي على الكاتب والشهيد وعلى من يدعوهما.

يقول الزركشي: " قد يكون اللفظ مشتركاً بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعاً، كقوله تعالى ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾، قيل المراد (يُضَارِر) وقيل (يُضَارَر)، أي: الكاتب والشهيد لا يُضَارِر فيكتم الشهادة والخط وهذا أظهر، ويحتمل أن من دعا الكاتب والشهيد لا يُضَارِره فيطلبه في وقت فيه ضرر... نعم يجوز أن يريد المتكلم به جميع المحامل ولا يستحيل ذلك عقلا "[1].

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة: ٥/ ٤٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يحتمل أن يكون مشتقاً من التصدّق، كما يحتمل أن يكون من الصدق.

أما الأول -وهو معنى التَّصدُّق- فقد بينّا سابقاً أن الضمير ﴿لَّهُۥۚ﴾ في قوله: ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ يحتمل أن يكون عائداً إلى العافي، أي إن المجروح أو ولي المقتول إذا عفا كان ذلك كفارة له. أو عائداً إلى المعفو عنه، أي إن المجني عليه إذا عفا عن الجاني صار ذلك العفو كفارة للجاني، والعافي أجره على الله تعالى.

وأما الاحتمال الثاني وهو أن يكون اشتقاق ﴿تَصَدَّقَ﴾ من الصدق

---

(١) البرهان: ٢/ ٢٠٨.

فيبيِّنه أبو حيان بقوله: "وقيل: المتصدِّق هو الجاني، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود عليه. والمعنى: إذا جنى جان فجهل وخفي أمره فتصدَّق هو بأن عرَّف بذلك ومكَّن من نفسه، فذلك الفعل كفارة لذنبه. وقال مجاهد: إذا أصاب رجل رجلاً ولم يعلم المصاب من أصابه فاعترف له المصيب فهو كفارة للمصيب. وأصاب عروة عند الركن إنساناً، وهم يستلمون، فلم يدر المصاب من أصابه، فقال له عروة: أنا أصبتك، وأنا عروة بن الزبير، فإن كان يلحقك بها بأس فأنا بها. وعلى هذا القول يحتمل أن يكون ﴿تَصَدَّقَ﴾ تفعَّل من الصدقة، ويحتمل أن يكون من الصدق"[(١)].

وبهذا نجد أن الآية الكريمة اتسعت لثلاثة معان؛ اثنان منهما يعودان لمعنى (التصدُّق) مع مراعاة اختلاف عائد الضمير، والثالث يعود لمعنى (الصدق)، وكل ذلك مراد في الآية الكريمة بكلمة واحدة، ولو قال: فَمَن صَدَقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لهُ، لقصر الآية على المعنى الأخير دون المعنيين الأوَّلين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ٦/ ١٣٤].

قوله تعالى: ﴿تُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ٦/ ١٣٤]، وفي قوله ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥١/ ٥]، يحتمل أن يكون مضارع وعد وعداً بالخير، وأن يكون مضارع أوعد وعيداً بالشرِّ.

يقول القرطبي: "قوله تعالى ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ يحتمل أن يكون من (أوعدت) في الشر. والمصدر: الإيعاد، والمراد: عذاب الآخرة. ويحتمل أن يكون من (وعدت) على أن يكون المراد الساعة التي في مجيئها الخير والشر فغلب الخير. روي عن الحسن"[(٢)].

(١) البحر المحيط: ٣/ ٥٠٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٨٨.

ويقول أبو حيان: "فتلخص في قوله ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ العموم، ويخرج منه ما خرج بالدليل. أو يراد به الخصوص من الحشر أو النصر أو الوعيد أو الوعد، أي: بلازمهما من الثواب أو العقاب، أو مجموعهما ستة أقوال"(١).

فقد جمعت الآية الوعد والوعيد بكلمة واحدة، وكلاهما مراد في الوقت نفسه، وكلاهما، الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب، صادق وآت لا محالة.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٩/ ٩٠].

في قوله تعالى ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ يحتمل وجهين:

الأول: أن يكون وزنه (فعَّل) مضعّفاً دالًّا على التكلُّف، والمعذِّر من عذَّر في الأمر إذا قصّر فيه ثم تكلَّف العذر يُوهم به، ولا عذر لهُ.

والثاني: أن يكون وزنه (افْتَعَل)، والأصلُ (اعتذَر)، فأدغمت التاءُ في الذال بأن قلبت تاءُ الافتعال ذالاً، ونُقِلت حركتها إلى السَّاكن قبلها، وهو العين.

يقول ابن عاشور: " يختلف التقدير في قوله ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ فإن كانوا المحقين في العذر فتقدير ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أنّ أصله المعتذرون من (اعتذر) أدغمت التاء في الذال لتقارب المخرجين لقصد التخفيف، كما أدغمت التاء في الصاد في قوله ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٤٩]، أي: يختصمون.

وإن كانوا الكاذبين في عذرهم فتقدير ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أنّه اسم فاعل من عَذَّر بمعنى تكلّف العذر. فعن ابن عباس: لعن الله المعذرين. قال الأزهري: ذهب إلى أنّهم الذين يعتذرون بلا عُذر، فكأن الأمر عنده أنّ

(١) البحر المحيط: ٤/ ٢٢٨.

المعذّر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالاً وهو لا عُذر له"[١].

فالآية جمعت الفريقين، الصادقين في أعذارهم والكاذبين، بكلمة واحدة، وقد عدَّ ابن عاشور دقة الاختيار لهذه الصيغة من لطائف الكتاب العزيز فقال: "ويجوز أن يكون اختيار صيغة (المعذّرين) من لطائف القرآن لتشمل الذين صدقوا في العذر والذين كذبوا فيه"[٢].

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٥/ ٤٦-٤٨].

صيغة (الأفنان) في قوله تعالى ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ يحتمل أن تكون جمع فنن، وهو الغصن، فكأنه مدحها بظلالها وتكاثف أغصانها. ويحتمل أن تكون جمع فنّ، فكأنه مدحها بكثرة أنواع الفاكهة والنعيم.

يقول ابن الجوزي: "﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أنها الأغصان، وهي جمع فَنَن، وهو الغُصن المستقيم طولاً، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وعطية، والفراء، والزجاج. والثاني: أنها الألوان والضروب من كل شيء، وهي جمع فَنَن، وهذا قول سعيد بن جبير. وقال الضحاك: ذواتا ألوان من الفاكهة"[٣].

فصيغة الجمع هذه جمعت المعنيين معاً، وكلاهما مقصود ومراد، إذ إن أشجار الجنة أغصان عظيمة كثيرة الإيراق والإثمار، وفيها من أصناف الفاكهة ما لا يعلمه إلا الله، وقد أحسن عطاء إذ جمع بين المعنيين في الآية، يقول ابن الجوزي: "وجمع عطاء بين القولين، فقال: في كل غصن فُنون من الفاكهة"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: ١٠/ ١٧٧.
(٢) نفسه: ١٠/ ١٧٧.
(٣) زاد المسير: ٨/ ١٢٠.
(٤) نفسه: ٨/ ١٢٠.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٦٣-٦٧].

قوله تعالى: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ على وزن (تفعَّل)، ومن معاني هذه الصيغة التجنب والترك، نحو: تأثَّم وتحرَّج، أي: تجنب الإثم والحرج، وكذلك تفكَّه تدلُّ على التجنب، والمتجَنَّب في هذه الكلمة شيئان، هما الفاكهة والفكاهة.

أما المعنى الأول وهو تجنب الفكاهة فيقول فيه أبو حيان: "ومعنى ﴿تَفَكَّهُونَ﴾: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهي المسرة، ورجل فكه: منبسط النفس غير مكترث بشيء، وتفكَّه من أخوات تحرَّج وتحوَّب"(١).

وأما المعنى الثاني، وهو تجنب الفاكهة فقد أشار إليه البيضاوي بقوله: "والفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث"(٢).

والحق أن كلا المعنيين مراد في الآية الكريمة، وبين تجنُّب الفكاهة وتجنُّب الفاكهة ترابط وثيق، إذ أكل الفاكهة لا يكون إلا حين السرور وانبساط النفس، يبيِّن هذا ابن عاشور بقوله: "الفاكهة: اسم لما يؤكل تفكُّهاً لا قوتاً، مشتقة من فَكِه كفرح، إذا طابت نفسه بالحديث والضحك، قال تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾؛ لأن أكل ما يلذّ للأكل وليس بضروري له إنما يكون في حال الانبساط"(٣).

---

(١) البحر المحيط: ٨/ ٢١١.

(٢) أنوار التنزيل: ٥/ ٢٩٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٢٦٢.

openkanaz.com

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٦٣-٦٧].

صيغة اسم المفعول ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ تجمع معنيين محتملين:

أولهما: أن تكون اسم مفعول مشتقاً من (الغرام)، والغَرَامُ: الشر الدائم والعذاب الشديد. يقول الراغب: "الغرام ما ينوب الإنسان من شدة ومصيبة، قال: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٦٥]، من قولهم هو مغرم بالنساء أي يلازمهن ملازمة الغريم"(١)، والمعنى على ذلك: إنا لمعذبون عذاباً شديداً ملازماً.

والثاني: أن تكون مشتقاً من (الغرم)، والغرم: ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة(٢). والمعنى: إنا لمحملون الغرم في النفقة، مُلزمُون غرامة ما أنفقنا.

يقول الثعالبي: "والمعنى يحتمل أن يكون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ من الغرام وهو أشد العذاب. ويحتمل إنا لمحملون الغرم، أي: غرمنا في النفقة وذهب زرعنا"(٣).

وجاء في البحر: "﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذبون من الغرام، وهو أشد العذاب، قال:

**إن يعذب يكن غراماً وإن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي**

أو لمحملون الغرم في النفقة، إذ ذهب عنا"(٤).

---

(١) المفردات: (غرم).
(٢) نفسه: (غرم).
(٣) الجواهر الحسان: ٤/ ٢٥٥-٢٥٦.
(٤) البحر المحيط: ٨/ ٢١١.

ويقول الزمخشري: "﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: لمُلزمُون غرامة ما أنفقنا، أو مُهلكُونَ لهلاك رزقنا، من الغرام وهو الهلاك"[١].

فالآية باختيار صيغة اسم المفعول حققت معنيين مرادين بكلمة واحدة، فهم غرموا زرعهم وما أنفقوا فيه من مال وجهد ووقت، وسيلازمهم العذاب الشديد على ما فعلوا، أو بجمع المعنيين بأنهم عذبوا بذهاب أموالهم بغير عوض، ولو كان التعبير بغير هذه الصيغة لما حققت الجمع بين هذين المعنيين.

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٧٥/ ٢٦-٣٢].

قال جمهور المتأوِّلين: هذه الآية كلها إنما نزلت في أبي جهل بن هشام[٢]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ يحتمل من حيث الاشتقاق معنيين، ولكل احتمال ما يؤيده:

الأول: أن يكون من التصديق ضد التكذيب، أي: ما آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ في مقابل ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾.

والثاني: أن يكون من الصدقة بمعنى الزكاة، ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾، أي: فلا تصدَّق بماله، ويشهد لهذا المعنى الاقتران المعهود بين الصلاة والزكاة في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، كقوله تعالى مثلاً: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ٤٣].

(١) الكشاف: ٤/ ٤٦٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٥/ ٤٠٦.

obeikandi.com

يقول البيضاوي: " ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ ما يجب تصديقه، أو فلا صدَّق ماله، أي: فلا زكاه"(١).

ويقول الزمخشري: "أي: لا يؤمن بالبعث، فلا صدق بالرسول والقرآن، ولا صلَّى. ويجوز أن يراد: فلا صدَّق ماله، بمعنى: فلا زكاه"(٢).

والخلاصة أن قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ نفيٌ لمعنيين في وصف أبي جهل، هما نفي التَّصديق ونفي التَّصدُّق، بكلمة واحدة. وقد جُمع هذان المعنيان: نفي التَّصدُّق وإثبات الكفر الذي هو نقيض التَّصديق، في موضع آخر من كتاب الله، هو قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٤١/٦-٧].

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٩٥/٨].

عبَّرت الآية الكريمة باسم التفضيل (أَحْكَم) لتدل على معنيين محتملين بل مقصودين معاً، هما:

الأول: اشتقاق (أَحْكَم) من الحكمة، فيكون معنى ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أَلَيْسَ الله أعظم ذوي الحكمة وأحسنهم تدبيراً، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٦٦/٢].

الثاني: اشتقاق (أَحْكَم) من الحكم بمعنى القضاء، فيكون المعنى: أَلَيْسَ الله بأقضى الحاكمين، وقد قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ٢/١١٣].

يقول ابن عاشور: "(أحكم) يجوز أن يكون مأخوذاً من الحكم،

(١) أنوار التنزيل: ٥/ ٤٢٤.
(٢) الكشاف: ٤/ ٦٦٤.

أي: أقضى القضاة، ومعنى التفضيل أن حكمه أسدّ وأنفذ. ويجوز أن يكون مشتقاً من الحكمة. والمعنى: أنه أقوى الحاكمين حِكمةً في قضائه بحيث لا يخالط حكمه تفريط في شيء من المصلحة"[١].

فجمع بقوله: ﴿بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ معنيين من جذر لغوي واحد، هما الحكم والحكمة، أي: أقضى القضاة، وأحكم القضاة، ولو قال: أقضى الْحَاكِمِينَ، لدلَّ على معنى واحد.

## خامساً - دلالة صيغة الفعل على زمنين، أو على لازم ومتعد:

يقسم الفعل عادة إلى ثلاثة أقسام من حيث الزمن: ماض وحاضر ومستقبل، وإلى قسمين من حيث اللزوم والتعدي، بيد أن ثمة أفعالاً في العربية تحتمل الأزمنة الثلاثة مجتمعة أو متفرقة إذا ما أُحكم نظمها في بعض التراكيب اللغوية، وأفعالاً أخرى تؤدي معنيين، فتستعمل لازمة أحياناً ومتعدية، وقد أفاد الخطاب القرآني من النوعين، من اتساع الدلالة الزمنية في الفعل، ومن اتساع الفعل للزوم والتعدي في المعنى، فجمع الغرضين بفعل واحد أحياناً. وفيما يلي نستعرض نماذج من ذلك:

قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٧].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ يحتمل دلالتين مختلفتين بالنظر إلى معنى الهمزة في الفعل ﴿أَضَآءَتْ﴾، أولهما: أن تكون الهمزة للتعدية، فتُعرب ﴿مَا﴾ على هذا مفعولاً به. والثاني: أن تكون الهمزة للصيرورة، فعلى هذا تكون ﴿مَا﴾ ظرفاً للإضاءة.

---

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/ ٣١٨.

يقول ابن عاشور: "(أضاء) يجيء متعدياً، وهو الأصل؛ لأن مجرده (ضَاء) فتكون حينئذٍ همزته للتعدية، كقول أبي الطمحان القيني:

**أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليل حتى ثقب الجزع ثاقبه**

ويجيء قاصراً بمعنى (ضاء) فهمزته للصيرورة، أي: صار ذا ضوء فيساوي (ضاء)، كقول امرئ القيس يصف البرق:

**يُضِيء سنَاه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل**

والآية تحتملهما، أي: فلما أضاءت النار الجهات التي حوله، وهو معنى ارتفاع شعاعها وسطوع لهبها، فيكون ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ موصولاً مفعولاً لـ ﴿أَضَآءَتْ﴾، وهو المتبادر. وتحتمل أن تكون من أضاء القاصر، أي أضاءت النار، أي: اشتعلت وكثر ضوءها في نفسها، ويكون ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ على هذا ظرفاً للنار، أي: حصل ضوء النار حولها غير بعيد عنها"[1].

فالفعل يحتمل اللزوم والتعدي، يقال: أضاءت النار بنفسها وأضاءت غيرها، والمعنيان صحيحان ولعلهما مرادان في الوقت نفسه، ولو عبَّر بالفعل الثلاثي: ضَاءتْ مَا حَوْلَهُ، لما أفاد غير معنى واحد.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨٤].

قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/ ١٥٨]، يحتملُ وجْهَيْن:

أحدهما: أن تكون (من) شرطيَّةً، ويكون الفعل ماضياً في لفظه مستقبلاً في معناه. والثاني: أن تكون موصولةً، و﴿تَطَوَّعَ﴾ ماضياً في لفظه ومعناه، صلة الموصول.

(١) نفسه: ١/ ٣٠٤.

جاء في مشكل إعراب القرآن: "قوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ يحتمل أن تكون للشرط، فموضع ﴿تَطَوَّعَ﴾ جزم، ومعناه الاستقبال، وجواب الشرط ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾. ويحتمل أن تكون (مَن) بمعنى الذي، فيكون ﴿تَطَوَّعَ﴾ فعلاً ماضياً على بابه، ودخلت الفاء في ﴿فَهُوَ﴾ لما في الذي من معنى الإبهام"[1].

والوجهان مقصودان في الآية الكريمة، فهي تشمل من تطوَّع في الماضي ومن سيتطوَّع في المستقبل فَهُوَ خَيْرٌ لَهُم، فالمعنيان محتملان ومقصودان في الوقت نفسه وبلفظ واحد.

قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٥].

الفعلان في الآية الكريمة ﴿عَرَّضْتُم﴾ و ﴿أَكْنَنتُمْ﴾ كل منهما جمع دلالتين زمانيتين:

الأولى: أن يكونا ماضيين على أصلهما، بمعنى نفي الجناح على ما كان منكم من تعريض أو إكنان.

والثانية: أن يكونا للدلالة على الاستقبال، أي: لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تعرِّضون بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء أَوْ تكنُّون فِي أَنفُسِكُمْ.

فالفعلان في الآية يحتملان المضي والاستقبال؛ لأن الآية في الأحكام[2]، والأحكام تضبط ما سيقع من أفعال العباد، فالآية نفت الجناح بعبارة واحدة عما كان وعما سيكون من التعريض بالخطبة أو الإكنان في النفس.

---

(١) مشكل إعراب القرآن: ١/ ١١٤-١١٥.

(٢) انظر: معاني النحو: ٣/ ٢٧٤.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٣٢].

الفعل في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٣/ ٦١-٦٣]، الفعل في الآيتين يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون على لفظه فعلاً ماضياً مسنداً لضمير الغائب، والمعنى: فإن أعرضوا عن قبول الطاعة.

والثاني: أن يكون مضارعاً، والأصل (تَتَوَلَّوْا)، ويكون الكلام جارياً على نسق واحدٍ، وهو الخطاب، وحذف إحدى التاءين تخفيفاً كما في قوله تعالى: ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ [الكهف: ١٨/ ١٧].

يقول أبو حيان: "يحتمل أن يكون ﴿تَوَلَّوْاْ﴾ ماضياً، ويحتمل أن يكون مضارعاً حذفت منه التاء، أي: فإن تتولوا، والمعنى: فإن تولوا عما أمروا به من اتباعه وطاعته فإن الله لا يحب من كان كافراً"(١).

ففي الآية احتمالان الماضي مع الغائب، والمضارع مع المخاطب، والحق أن كليهما مراد، والآية تشمل الغائبين والمخاطبين في الماضي والحاضر، ولو قال (تَتَوَلَّوا) لقيد المعنى بوجه واحد، ولكنه لما أراد جمع المعنيين آثر الصيغة الاحتمالية على الصيغة القطعية، فقال: ﴿تَوَلَّوْاْ﴾.

---

(١) البحر المحيط: ٢/ ٤٤٩.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٤/ ٩٧].

وقوله تعالى: ﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ يحتمل أن يكون فعلاً ماضياً، ويحتمل أن يكون مستقبلاً على معنى (تتوفاهم) فحذفت إحدى التاءين، وتكون في العبارة إشارة إلى ما يأتي من هذا المعنى في المستقبل.

يقول الألوسي: "﴿تَوَفَّىٰهُمُ﴾ يحتمل أن يكون ماضياً، وتركت علامة التأنيث للفصل؛ ولأن الفاعل غير المؤنث حقيقي. ويحتمل أن يكون مضارعاً، وأصله (تتوفاهم) فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وهو لحكاية الحال الماضية. ويؤيد الأول قراءة من قرأ (توفتهم). والثاني قراءة إبراهيم (تُوفاهم) بضم التاء على أنه مضارع وفيت، بمعنى أن الله تعالى يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها. أي: يمكنهم من استيفائها فيستوفونها. وإلى ذلك أشار ابن جني. والمراد من التوفي قبض الروح"[(١)].

والمعنيان، الماضي والمستقبل، مرادان ويتسع لهما لفظ الفعل، ولو أراد تخصيص المعنى الأول فقط لأنث الفعل فتعيَّن الماضي، ولو أراد الثاني لما حذف التاء فيتعيَّن المستقبل، ولكنه أرادهما معاً بلفظ واحد فأتى بالفعل على هذه الصيغة الاحتمالية بالتذكير والحذف.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ [التوبة: ٩/ ١٢٢].

الفعل في العربية إن كان بعد أدوات التحضيض كما في قوله تعالى:

---

(١) روح المعاني: ٥/ ١٢٥.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ يدلُّ على زمنين الماضي والمستقبل، إن كانت غاية التحضيض الطلب لا التقريع، جاء في شرح الرضي: " ويحتمل المضي والاستقبال بعد همزة التسوية،... وكذا بعد حرف التحضيض إذا كان للطلب، لا للتقريع "(١).

وعلى هذا فإن قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾ يجمع الدلالتين بفعل واحد، الدالة على ما مضى، وهو المُعبَّر عنه بالفعل الماضي ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾، والدلالة على المستقبل، أي: فَلَوْلَا يَنْفرُ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ...

قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ١٤/ ٢١].

الفعلان (جزعنا وصبرنا) في الآية الكريمة، والفعل في (وعظت) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ١٣٦]، كل من هذه الأفعال تحتمل المضي والاستقبال، وعلة ذلك أنها جاءت بعد همزة التسوية، يقول السيوطي: "يحتمل الاستقبال والمضي وذلك إذا وقع بعد همزة التسوية، نحو: سواء علي أقمت أم قعدت؛ إذ يحتمل أن يراد ما كان منك من قيام أو قعود، أو ما يكون من ذلك "(٢).

ويقول الرضي: "ويحتمل المضي والاستقبال بعد همزة التسوية، نحو: سواء علي أقمت أم قعدت، وبعد: (كلما) و(حيثما)؛ لأن في الثلاثة رائحة الشرط "(٣).

---

(١) شرح الرضي: ٢/ ٢٥٠.

(٢) همْع الهَوامع في شَرح جمْع الجَوامع: ١/ ٤٣، السيوطي، جَلال الدّين أبو الفضْل عبْد الرّحمن بْن أَبي بكْر (٩١١هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوفيقية، مصر.

(٣) شرح الشافية: ٤/ ١٣.

فالآية الكريمة تحقق المعنيين بلفظ واحد: الماضي كما هو المتبادر من الصيغة، والمستقبل، أي: سَوَاء عَلَيْنَا أنجزع أَمْ نصبر مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ٢٢/ ١].

(الزلزلة) في الآية الكريمة مصدر قد يكون لازماً بمعنى تزلزل الساعة، وربما كان متعدياً، أي: زلزال الساعة الناس، يقول العكبري: "قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزلزلة: مصدر، يجوز أن يكون من الفعل اللازم، أي: تزلزل الساعة شيء. وأن يكون متعدياً، أي: إن زلزال الساعة الناس، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل في الوجهين"(١).

ولا ريب أن المعنيين مرادان في الآية؛ إذ الزلزلة نفسها شيء عظيم، وزلزلتها الناس كذلك شيء عظيم، فأفادت الآية المعنيين بكلمة واحدة.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٢/ ١٣٩.